سلسلة:



(الحلقة التاسعة)

براءة السيوطي من

تهمة السرقات العلمية

وبيان كذب وجهل أبي يحيى في تلك القضية

لأبي جويرية
محمد بن عبد الحي

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد

فمن المعلوم أن الحافظ السيوطي من أكثر الناس محاربة للسرقات العلمية، ومن أكثر العلماء الذين تكلموا في تلك القضية، ويكفي أن له رسالتين مصنفتين في الباب، وهما: الفارق بين المصنف والسارق، والبارق في قطع السارق!!

وقد أجاد فيهما وأفاد وبين المراد، وهو كذلك من أكثر من يشيرون إلى أهمية عزو الكلمة لقائليها، فتراه في كثير من مصنفاته قد أكد بوضوح منهجه فيها!

فترى السيوطي يكتب في مقدمة كتابه: عقود الزبرجد على مسند الإمام أحمد: ((قد أوردتُ جميع كلام أبي البقاء معزوًّا إليه، ليعُرف قدر ما زدتُه عليه، وتتبعتُ ما ذكره أئمةُ النحو في كتبهم المبسوطة من الأعاريب للأحاديث، **فأوردتُها بنصِّها معزُوَّة إلى قائلها، لأنَّ بركة العلم عزو الأقوال إلى قائلها، ولأنَّ ذلك من أداء الأمانة، وتجنُّب الخيانة، ومن أكبر أسباب الانتفاع بالتصنيف**))، فيسمى العزو أمانة، وعدم العزو خيانة!!

وتجد السيوطي يقول كما في مقدمة نواهد الأبكار : ((واعلم أني لخصت فيه مهمات مما في حواشي الكشاف السابق ذكرها ما له تعلّق بعبارة الكتاب، وضممت إلى ذلك نفائس تستجاد وتستطاب، مما لخصته من كتب الأئمة الحافلة... **غير ناقل حرفا من كلام أحد إلا معزواً إليه؛ لأن بركة العلم عزوه إلى قائله**، وحيث كان المحل من المشكلات التي كثر كلام الناس عليها أشبعت القول، فيه بذكر كلام كل من تكلم عليه تكثيرا للفائدة.)).

كذلك قال في المزهر في علوم اللغة وأنواعها ٢/٢٧٣ وعقد فصلا: ((فصل ومن بركة العلم وشكره عزْوُه إلى قائله: قال الحافظ أبو طاهر السِّلفي: سمعت أبا الحسن الصيرفي يقول: سمعت أبا عبد الله الصوري يقول: قال لي عبد الغني بن سعيد: لما وصل كتابي إلى عبد الله الحاكم أجابني بالشكر عليه وذكر أنه أملاه على الناس، وضمن كتابه إلي الاعترافَ بالفائدة، وأنه لا يذكرها إلا عني، وأن أبا العباس محمد بن يعقوبَ الأصم حدثهم قال: حدثنا العباس بن محمد الدوري قال: سمعت أبا عبيد يقول: مِنْ شكر العلم أن تستفيد الشيء، فإذا ذكر لك قلت: خفي عليَّ كذا وكذا، ولم يكن لي به علم حتى أفادني فلان فيه كذا وكذا فهذا شكر العلم. انتهى.

قلت -أي السيوطي-: **ولهذا لا تراني أذكر في شيء من تصانيفي حرفا إلا معزوا إلى قائله من العلماء، مبينا كتابه الذي ذكر فيه.**))

ومع كل هذا الوضوح في منهج الحافظ جلال الدين السيوطي وما قرره وبينه، ترى بعض الجهلة يقولون لقد نقل بغير عزو في كتاب كذا وكذا وما عزا!!

كما قال رسلان في خطبة الرد على هشام البيلي: ((ومن العجيب أيضا أن شيخ الحدادية البائسة لما أراد التقعيد للسرقات العلمية –بزعمه– أتى بكلام للسيوطي وهو متهم بسرقة مكتبة كاملة ونسبتها لنفسه، وهذا وإن كان محض اتهام لا يقوم عليه دليل– إلا أن الاستدلال بمثله في مثل هذا الموطن لا يجمل بالعاقل اللبيب))

وبنحو هذا وزيادة قال سامح أبو يحيى في محاضراته الأخيرة وتأصيله العجيب!!

فيحتجون بأوهام توهموها، وإلى الحافظ السيوطي نسبوها، وسوف نبين ها هنا براءته من تلك الفرية، أعني فرية السرقات العلمية.

ولكن قبل البيان وتنزلا: هب أنه ثبت فعلا أن السيوطي نقل بغير عزو في بعض الكتب، وعارض ذلك صريح قوله بالنهي عن ذلك فيما قرر وكتب، فأيهما نقدم يا أصحاب العقول: أنقدم قول العالم المنقول، أم فعله المحتمل يا من تدعون العلم بالأصول؟!!

الجواب: لعلماء الأصول تفصيل في ذلك يطول، وخلاصته أنه ما دام الجمع بين القول والفعل لا يمكن بحال، تقدم الأقوال على الأفعال!

والحمد لله هذا غير واقع أصلا فيما نسب للسيوطي، فغاية ما احتج السراق به هو قول للسخاوي، أورده في ترجمته للسيوطي – ومعلوم ما كان بينهما من تناطح الأقران– فهموا منها أن السيوطي نقل من كتب غيره بغير عزو لهم، ثم ظنوا أنهم أحكموا شبهتهم بإيراد تعليق الشوكاني على هذا الأمر وقوله إن هذا لَيْسَ بِعَيْب فإن هَذَا مازال دأب المصنفين يأتي الآخر فَيَأْخُذ من كتب من قبله!!

ولم يفهم المساكين المراد، فراحوا يبثون شبهتهم في كل ناد، ويكررونها في كل واد، لذا أسوق الكلام كاملا ثم أعقب عليه بالرد الواضح، مبينا جهلهم هؤلاء الفاضح:

قال السخاوي: ((واختلس حِين كَانَ يتَرَدَّد إِلَى مِمَّا عملته كثيرا: كالخصال الْمُوجبَة للظلال، والأسماء النَّبَوِيَّة وَالصَّلَاة على النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم، وَمَوْت الْأَبْنَاء وَمَا لَا أحصره، بل أَخذ من كتب المحمودية وَغَيرهَا كثيرا من التصانيف الْمُتَقَدّمَة الَّتِي لَا عهد لكثير من العصريين بهَا فِي فنون فَغير فِيهَا يَسِيرا وَقدم وَأخر ونسبها لنَفسِهِ وهول فِي مقدماتها بِمَا يتَوَهَّم مِنْهُ الْجَاهِل شَيْئا مِمَّا لَا يُوفي بِبَعْضِه، وَأول مَا أبرز جُزْءا لَهُ فِي تَحْرِيم الْمنطق جرده من مُصَنف لِابْنِ تَيْمِية واستعان بِي فِي أَكْثَره فَقَامَ عَلَيْهِ الْفُضَلَاء.. [1]

---

١ – هذا الجزء لم أذكره في المقال الأول اختصارا فلما شغب المشغبون أوردته هنا كاملا لئلا يظن أحد ان فيه شئ أحب أن أخفيه!!

وفيها مما اختلسه من تصانيف شيخنا لباب النقول في أسباب النزول وعين الاصابة في معرفة الصحابة والنكت البديعات على الموضوعات والمدرج إلى المدرج وتذكرة المؤتسي بمن حدث ونسي وتحفة النابه بتلخيص المتشابه وما رواه الواعون في أخبار الطاعون والأساس في مناقب بني العباس وجزء في أسماء المدلسين وكشف النقاب عن الألقاب ونشر العبير في تخريج أحاديث الشرح الكبير فكل هذه تصانيف شيخنا وليته إذ اختلس لم يمسخها ولو نسخها على وجهها لكان أنفع وفيها مما هو لغيره الكثير)) [الضوء اللامع ٦٨/ ٤]

عقب الشوكاني قائلا: ((وَأَقُول لَا يخفى على الْمنصف مَا فِي هَذَا الْمَنْقُول من التحامل على هَذَا الإمام ..))

ثم راح الشوكاني يرد على تلك الاتهامات فكان مما قاله: ((وَكَذَا قَوْله إنه مسخ كَذَا وَأخذ كَذَا لَيْسَ بِعَيْب فإن هَذَا مازال دأب المصنفين يأتي الآخر فَيَأْخُذ من كتب من قبله فيختصر أَو يُوضح اَوْ يعْتَرض أَو نَحْو ذَلِك من الْأَغْرَاض الَّتِي هي الباعثة على التصنيف وَمن ذَاك الذي يعمد إلى فن قد صنف فِيهِ من قبله فَلَا يَأْخُذ من كَلَامه..)) [البدر الطالع ٣٣١/ ١]

قال سامح أبو يحيى معلقا: ((الكلام هنا عليه ملاحظات:

أولا: أن السخاوي أثبت على السيوطي وهو معاصر له من أقرانه اختصار كتب، **مع عدم العزو لأصحابها**!!

ثانيا: تأكيد الشوكاني وإقراره للسخاوي له بذلك!!

ثالثا: أن اسيوطي نفسه هو صاحب الفارق بين المصنف والسارق، والسؤال هل السيوطي يحكم على نفسه بالسرقة؟!!..

رابعا: دفاع الشوكاني عنه بأن نقل السيوطي عنه لا عيب فيه....)) [الذلة والصغار ١:٠٩/١/ ١]

أقول –أبو جويرية–:

لقد انتقد السخاوي على السيوطي شيئا ورآه الشوكاني سائغا لا شيء فيه!!

فحسب المخالفون أن السخاوي ينتقده في أخذه لكتب غيره **بغير عزو** الكلام لقائليه!!

وعليه فالشوكاني يفصل فيقول إن النقل بغير عزو دأب المصنفين !!

والحقيقة أن هذا من سوء ظنكم وجهلكم!!

فالسخاوي إنما ينتقد على السيوطي أنه لخص كتب شيخه، وكتب غيره من أهل العلم قبله، فجعل ذلك مطعنا فيه إذ أنه لم يأت بجديد، فغاية عمل السيوطي في تلك الكتب –بزعم السخاوي– الاعتماد على الغير والتقليد!!

فرد الشوكاني فقال: إن هذا هو دأب المصنفين، **يأتي الآخر فَيَأْخُذ من كتب من قبله فيختصر أو يُوضح أَوْ يعْتَرض!!**

فنحن نقول أن السيوطي كان على التزام العزو، وأنتم تقولون ما كان يعزو!!

لذا فإن محل النزاع بيننا وبين لصوص النصوص الآن، هل كان السيوطي يعزو لصاحب الكتاب الأصلي فيما ذكره السخاوي من تصانيفه، أم أنه كان يترك ذلك فيوهم القراء أنه من فعله وتأليفه !!

والجواب يظهر لكم جليا بالرجوع للكتب التي مثّل بها السخاوي نفسه في محل انتقاده الفائت!!

لنرى هل أهمل السيوطي العزو للكتب أم أن العزو ثابت؟!!

وإليك أخي القارئ بيان ذلك:

فأما كتاب المدرج إلى المدرج، فقد قال السيوطي في مقدمته: ((هَذَا جُزْء لطيف سميته المدرج إِلَى المدرج **لخصته من تقريب الْمنْهَج بترتيب المدرج** لشيخ الْإِسْلَام والحفاظ أبي الْفضل ابن حجر إِلَّا أَنِّي أقتصرت فِيهِ على مدرج الْمَتْن دون مدرج الْإِسْنَاد..))

وأما كتاب تذكرة المؤتسي فيمن حدث ونسي، فقد قال السيوطي في أوله: ((هَذَا جُزْء فِيمَن حدث بِحَدِيث ثمَّ نَسيَه **لخصته من كتاب الْخَطِيب** وَمَا توفيقي إِلَّا بِاللَّه عَلَيْهِ توكلت وَإِلَيْهِ أنيب))

وأما الجزء في تحريم المنطق الذي جرده من مصنف لابن تيمية، فقد قال السيوطي: ((وآخر من صنف في ذلك شيخ الإسلام أحد المجتهدين تقي الدين ابن تيمية، فله في ذلك كتابان أحدهما صغير ولم أقف عليه والآخر مجلد في عشرين كراسا سماه " **نصيحة أهل الإيمان في الرد على منطق اليونان" وقد أردت تلخيصه** في كراريس قليلة تقريبا للطلاب، وتسهيلا على أولي الألباب، فشرعت في ذلك وسميته " جهد القريحة في تجريد النصيحة " والله الهادي للصواب))

وأما كتاب النقول فى أَسبَاب النُّزُول، فقد قال السيوطي في مقدمته: ((فهذا كتاب سميته: لباب النقول في أسباب النزول **لخصته من جوامع الحديث والأصول**، وحررته من تفاسير أهل النقول، وبالله أسأل النفع به فهو أكرم مسؤول، وأعظم مأمول))

النكت البديعات على الموضوعات فقد قال السيوطي في مقدمة الكتاب: ((وأما موضوعات ابن الجوزي فلم أقف على من اعتنى بشأنها، **فاختصرتها معلقا أسنيدها**، وتعقبت منها كثيرا على وجه الإختصار، على نحو ما صنع

الذهبي في (المستدرك)، ثم جمعت كتابا حافلا في الأحاديث المتعقبة خاصة [وهو كتاب اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة] ... فأردت أن **ألخص الكتاب المذكور** في تأليف وجيز...))

والكتاب المذكور هو كتابه اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة" وقد قال في مقدمته أيضا:

((فأورد الحديث من الكتاب الذي أورده هو منه، كتاريخ الخطيب والحاكم، وكامل ابن عدي، والضعفاء للعقيلي، ولابن حبان، وللأزدي، وأفراد الدارقطني، و الحلية لأبي نعيم، وغيرهم بأسانيدهم، حاذفاً إسناد أبي الفرج إليهم، ثم أعقبهم بكلامه، ثم إن كان متعقباً نبهت عليه، **وأقول في أول ما أزيده (قلت)، وفي آخره والله أعلم**))

وأما كتاب: مَا رَوَاهُ الواعون فى أَخْبَار الطَّاعُون، فقد قال السيوطي في مقدمته: ((هذا جزء أنتخب فيه ما ورد في أخبار الطاعون **اختصرته من بذل الماعون لشيخ الإسلام** ابن حجر فأتيت بالمقصود وحذفت الأسانيد وما وقع على سبيل الاستطراد، والله الموفق))

وأما كتاب نشر العبير فِي تَخْرِيج أَحَادِيث الشَّرْح الْكَبِير، فلم أقف عليه ولكن يظهر أنه من اسمه **تخريج لأحاديث كتاب الحافظ الشرح الكبير**.

وأما كتاب تحفة النابه بتلخيص الْمُتَشَابه ، فلم أقف عليه ايضا لا مطبوعا ولا مخطوطة، ولكن أشار إليه السيوطي في مقدمة كتابه تالي تلخيص المتشابه بما يظهر منه عمله في الكتابين –تلخيص المتشابه ثم تالي تلخيص المتشابه، حيث قال كما نقله محقق كتاب تالي تلخيص المتشابه ٢/٥٩٨ : ((**وهذا خلاصة الكتاب التالي للتلخيص** وهو ذكر ما يتفق من أسماء المحدثين..))

فهذه كما ترى هي طريقة السيوطي في تناوله لتلك الكتب، فلا تراه ترك العزو، ولا أوهم القارئ، ولا كذب!

إذا علمت ذلك فاقرأ –مشكورا– ما قاله الشوكاني مرة أخرى: ((وَكَذَا قَوْله [أي السخاوي] إنه [أي السيوطي] مسخ كَذَا وَأخذ كَذَا لَيْسَ بِعَيْب **فإن هَذَا مازال دأب المصنفين يأتي الآخر فَيَأْخُذ من كتب من قبله فيختصر أَو يُوضح أَوْ يعْتَرض أَو نَحْو ذَلِك من الْأَغْرَاض الَّتِى هي الباعثة على التصنيف** وَمن ذَاك الذي يعمد إلى فن قد صنف فِيهِ من قبله **فَلَا يَأْخُذ من كَلَامه**..))

فتلك طريقة المصنفين ممن يعتنون بكتب أسلافهم فيأخذونها شارحين لها، أو مختصرين طولها، أو مبينين ما أشكل بها، أو نحو ذلك من الأعراض الباعثة على التصنيف!!

فبان لك أخي طالب الحق أن السيوطي لا يتعارض ما أصله ونقلناه في أول المقال، مع ما نسبه إليه الجهال، فلا يسلم لهم هذا الاستدلال بحال.

شبهة أثارها أبو يحيى وجوابها [٢]:

ادعى أبو يحيى أننا أهملنا كلاما للسخاوي في رد سابق عمدا لأنه بزعمه يديننا، حيث قال في محاضرته الموسومة "أبي جويرية والمرتقى الصعب" فقال: ((فهذا كلام السخاوي فقد ذكر أكثر من ١٤ كتاب منها ما للسخاوي ومنها لشيخه ابن حجر ونسبها لنفسه وقال وغيرها الكثير فقطع هذا الكذاب كلامى ليوهم العُميان أننا نتكلم في كتابين فقط فجعل يصول ويجول بهما كالصبيان..أنت ذكرت تذكرة المؤتسى بمن حدث ونسى وقد نسبه للخطيب ، فأين تذهب بما لم ينسبه لابن حجر .. ولو سلمنا فأين أنت ذاهب بكل الكتب الماضية حين قال السخاوي ((وَغَيرهَا كثيرا من التصانيف الْمُتَقَدّمَة الَّتِي لَا عهد لكثير من العصريين بهَا فِي فنون فَغير فِيهَا يَسِيرا وَقدم وَأخر ونسبها لنَفسِهِ))

أقول –والله الموفق-:

أولا: لقد بان كذبك أو جهلك، فقد نقلنا فيما مر ما وقفنا معه من كتب السيوطي، وقد قاربت العشرة يعزو فيها عزوا مجملا في المقدمة لمن يلخص كتابه وليست مجرد كتابين!!

ثانيا: فإن قلت إن السخاوي قد نص على أن السيوطي نسب الكتب لنفسه!!

قلنا: وهذا لا يتنافى مع كونه يعزو عزوا مجملا لصاحب الكتاب فلا شك أن كل من يصنف كتابا ينسب كتابه لنفسه وإن كان معتمدا فيه على غيره ممن يعزو لهم!!

والدليل أنه مثَّل لهذه المنقولات التي نسبها السيوطي لنفسه بقوله: ((وأول ما أبرز جزءًا له في تحريم المنطق جرده من مصنف لابن تيمية)) وقد مر أن السيوطي عزا فيه لشيخ الإسلام ابن تيمية في مقدمته وعلى غلافه!!

فإن قلت: ولماذا إذن ينتقده السخاوي في هذا وهو سائغ؟!!

قلنا: نحن لا نتابع السخاوي في نقده، ولهذا أنكر عليه الشوكاني ذلك، وأكد أنه انتقده بما لا يجوز الانتقاد به!!

ثالثا: هل تقلد السخاوي في قوله وانتقاده للسيوطي بهذا الفعل أم تنكره؟!!

فإن قلت أقلده: فأنت تتهم السيوطي بما اتهمه به السخاوي وتراه لصا.

وإن قلت لا أقلده: قلنا فلم تحتج به وتتشبث بكلامه الذي ضرب العلماء به عرض الحائط؟

٢ – اضفت هذه الشبهة بعد نشر المقال الأول قطعا للطريق على المشغبين.

وإن قلت أقلده في نسبة الفعل للسيوطي وأخالفه في الحكم عليه بالسرقة تقليدا للشوكاني:

قلنا كلام الشوكاني يثبت غلط الشوكاني في حق السيوطي وتحامله عليه حيث قال في نهاية كلامه المنقول: ((والسخاوي رَحمَه الله وإن كَانَ إماماً غير مَدْفُوع لكنه كثير التحامل على أكَابِر أقرانه كَمَا يعرف ذَلِك من طالع كِتَابه الضَّوْء اللامع فإنه لَا يُقيم لَهُم وزنا بل لَا يسلم غالبهم من الْحَط مِنْهُ عَلَيْهِ))

وإن قلدته فيما نسبه للسيوطي فيجب عليك إذن أن تقلده في قوله:

((كل ذَلِك مَعَ كَثْرَة مَا يَقع لَهُ من التحريف والتصحيف وَمَا ينشأ عَن عدم فهم المُرَاد لكَونه لم يزاحم الْفُضَلَاء في دروسهم وَلَا جلس مَعَهم في شأنهم وتعريسهم بل اسْتندَ بأخذه من بطُون الدفاتر والكتب وَاعْتمد مَا لَا يرتضيه من للاتقان صحب))

وهذا وإن كان غير صحيح في حق السيوطي، فهو ملاصق لأبي يحيى لا ينفك عنه!!

والآن وقبل الختام أسألك اخي القارئ سؤالا:

من أين أتى سامح أبو يحيى بقوله: ((إن السخاوي أثبت على السيوطي وهو معاصر له من أقرانه اختصار كتب، **مع عدم العزو لأصحابها**)) مع أن هذا ما صرح به السخاوي في كلامه؟!!

الجواب: نرى أن سامح أمامه أمران:

- إما أن يقول كنت أعلم أن السيوطي يعزو ولكني كذبت عليه مكرا لأبرئ نفسي !!
- وإما أن يقول ما كنت أعلم أنه يعزو، فكذبت على السيوطي جهلا لأبرئ نفسي!!

وفي كلتا الحالتين فأنت تكذب على أهل العلم لتبرئ نفسك، إما لجهلك وإما لمكرك!

فالله حسيبك، وأسأل الله أن ينجيك من شرور نفسك!

وأختم مقالي بنصيحة السيوطي لنا في التعامل مع أمثالك من السراق، حيث قال:

((وأرسلوا عليه من ألسنتكم سبعا شدادا ، ومن أقلامكم أسنة حدادا ، ومن محابركم بحارا مدادا ، ومن أقوالكم جيشا عرمرما لا يدع تلاعا ولا وهادا ، وأولوا هذا السارق قطعا ، وامنعوا عنه الكتب منعا .

وإن زكاه أحد فما خائن عندنا بمزكى ،والله إن سارقا يسرق الأشعار ، وهي بالنسبة إلى العلم رخيصة الأسعار، فيعز على المسروق منه ويشتد ، وينبه على سرقته ويعتد ، ويساعده على ذلك أهل الأدب ، وينتدبون لافضاحه مع من انتدب ، ويؤلفون الكتب في هتكه ، ويدرجونه في حيز المهمل وسلكه ، ألم تر إلى كتاب (الحجة في سرقات ابن

حجة) ، وعقد علماء البيان في كتبهم السرية بابا في السرقات الشعرية ، كل ذلك في إعطاء الفضائل حقها ، وتوفية بنسبة الحقوق إلى من استحقها))

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

كتبه:

أبو جويرية محمد عبد الحي

وكان الفراغ منه٧ ربيع الأول ١٤٣٨